

رئيس أميركي بأربعة تريليونات دولار

ممدوح الشيخ



السبت 21 نوفمبر 2020 06:40 ص

رئيس أميركي بأربعة تريليونات

فاتورة انتخاب بايدن الحقيقية ليست تكلفته الانتخابية بل تساوي 4 تريليونات دولار!

ستكون لتوجه بايدن الاقتصادي الاجتماعي تأثيرات اقتصادية كبيرة قد تنعش الطبقة الوسطى التي تحدت بوضوح إنه يمثلها.

الشركات الأكبر في وادي السيليكون أصبح إنفاقها على اللوبيات في واشنطن ضعف ما تنفقه "وول ستريت" في نيويورك.

ستفقد الرأسمالية قوتها الدافعة بتراكم الثروة الضخم الراهن مترافقاً مع انخفاض الأجور كظاهرة عالمية فقد تصبح الرأسمالية آلات إنتاج دون مستهلكين!

أطروحات نقدية امتدت عواصفها لتشمل إعادة النظر في الرأسمالية والفردية والتمحور حول الربح والإيمان "الأعمى" بقدرة السوق على تصحيح نفسها.

دول عربية تعاني شعوبها فقراً شديداً وتفاوتاً بالثروة لا نظير له في أكثر النظم الرأسمالية ليبرالية، تهرول إلى تنفيذ إجراءات تتضاءل بجانبها ممارسات ترامب.

* * *

خلال ما يقرب من عام عايشت كتابين (ترجمت أحدهما وشاركت في ترجمة الثاني)، وكلاهما غيّر الكثير في فهمي لما أسفرت عنه الانتخابات الأميركية، وهما: "رأسمالية مصاصي الدماء" للمؤرخ وعالم الاجتماع البريطاني بول كينيدي (2017)، و"علم نفس وادي السيليكون" لكاتي كوك.

وما تضمنه الكتابان من حقائق عن النيوليبرالية كان في قلب معركة المرشحين ترامب ويايدن، فمنذ الأزمة المالية العالمية (2008) وقضية مستقبل النيوليبرالية تلخ من خلال أطروحات نقدية امتدت عواصفها لتشمل إعادة النظر في الرأسمالية والفردية والتمحور حول الربح، والإيمان "الأعمى" بقدرة السوق على تصحيح نفسها.

وقد كان دونالد ترامب من الداعمين الأكثر شراسة لهذا النموذج الذي تسببت عوامل عديدة في انتشاره انتشار النار في الهشيم منذ أواخر الثمانينيات تقريباً.

وقد عدّ آلن غرينسبان الرئيس "المزمن" لمجلس الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي) الأميركي [1987-2006] أحد أكبر داعميه، ويقدر ما حلّق عاليًا في سماء الفكر الاقتصادي، بقدر ما خسر حماس الجميع بعد الأزمة.

من المفارقات أن ترامب تخلّى عن أفكار آلن غرينسبان في العلاقات الاقتصادية الدولية، مستخدمًا سياسات حمائية "عاشمة"، بقدر ما تمسكّ بها بحماس شديد في سياساته الضريبية وموقفه من قضية العدالة الاجتماعية.

كتاب المؤرخ وعالم الاجتماع البريطاني بول كينيدي أقرب إلى نظرة الطائر، وحشد فيه مؤلفه إحصاءاتٍ مرعبةٍ عن حجم تراكم الثروة في أعلى الهرم الاجتماعي/ الاقتصادي، في دول عديدة، وخصوصاً الولايات المتحدة.

والزيادة غير المسبوقة في الوزن النسبي للقطاع المالي في اقتصادات وطنية عديدة، والأرقام التي لا تتوقف عن الارتفاع منذ سنوات في أرصدة الأفراد الأكثر غنىً والشركات الأكثر شهرة في بنوك الملاذات الضريبية.

والاستنتاج الأهم في "رأسمالية مّصّاصي الدماء" أن الرأسمالية نفسها ستفقد قوتها الدافعة في حال استمر التراكم الضخم للثروة بالشكل القائم الآن، مترافقاً مع انخفاض الرواتب كظاهرة عالمية، فما يحدث يهدّد الرأسمالية بأن تصبح في النهاية آلات إنتاج من دون مستهلكين! تتحدّث الأكاديمية البريطانية، كاتي كوك، في كتابها المتمع العميق السلس، حديث "ليالي ألف ليلة وليلة" عن شركات وادي السيليكون، وبالأساس: أمازون وغوغل والشركات المالكة لمواقع السوشيال ميديا.

والأكثر غرائبية في كتابها حجم الثروات التي استطاع الخمسة الكبار تحقيقها في سنوات معدودة، ثم التأثير السياسي الذي لا تشكل فضيحة كامبردج أناليتيكا إلا صفحة واحدة من كتابها الكبير.

وتحدّث الكاتبة أيضاً من تأثير السوشيال ميديا والذي أصبح خطراً على الديمقراطية. ومن الحقائق المهمة في الكتاب أن الشركات الأكبر في وادي السيليكون (5 شركات) أصبح إنفاقها على اللوبيات في العاصمة واشنطن ضعف حجم ما تنفقه "وول ستريت" في نيويورك.

وفي إطار حالة من الغموض القانوني/ السياسي، فيما يتصل بعملها، أصبحت هذه الشركات خلال سنوات معدودة "الأكثر ثراءً" في العالم. وخلال حملته، تعهد الرئيس جو بايدن بفرض ضريبة ثروة على الأكثر غنى في الولايات المتحدة، بعد رفضٍ متكرّرٍ من ترامب الذي منح تخفيضات ضريبية غريبة للأكثر غنى.

وفي إطار ذلك، تعهد الرئيس المنتخب جو بايدن بجمع ما يزيد قليلاً على أربعة تريليونات دولار من هذه الضريبة. وتعهد بايدن أيضاً، بعد تردّد جمهوري وديمقراطي سنوات، بفرض ضرائب على شركات وادي السيليكون.

وستكون للتوجه الاقتصادي/ الاجتماعي الذي يتبناه بايدن تأثيرات اقتصادية كبيرة، ربما أدت إلى إعادة الاعتبار إلى الطبقة الوسطى التي تحدّث بوضوح إنه يمثلها.

ومن المفارقات المؤلمة أن ينتخب ما يزيد على 70 مليوناً من الأميركيين ترامب، في بلد تبلغ مدّخرات مواطنيه أكثر من 90 تريليون دولار، نجد دولاً عربية تعاني شعوبها فقراً شديداً وتفاوتاً في الثروة لا نظير له في أكثر النظم الرأسمالية ليبرالية، تهرول إلى تنفيذ إجراءات تتضاءل بجانبها ممارسات ترامب.

الفاتورة الحقيقية لانتخاب بايدن لا تساوي تكلفة حملته الانتخابية، بل تساوي 4 تريليونات دولار!

* ممدوح الشيخ كاتب وباحث مصري